

المقدمة الثانية : حول ترجمة الشعر

1 - أولاً : لماذا نترجم الشعر ؟ من المؤكد أن قراءة الشعر في لغته الأصلية أفضل ألف مرة من قراءته مترجماً في لغة أخرى . لكن من يعرضون اللغات الأجنبية قلة قليلة ، والأقل منها من يستطيع أن يجرؤ على نقل قصيدة من لغة إلى لغة أخرى . فهذه العملية تتطلب الكثير من الصبر ، والبحث ، ومحاولة الفهم الأعماق ، وليس العميق فقط لمضمون القصيدة ، حتى لا يسقط منها معنى كلمة ، أو ظل لها .. ونحن نعلم أن الشعراء هم أكثر من يستخدمون اللغة في غير ما وضعت له ، إما عن طريق أسلوب المجاز ، أو عن طريق كسر القواعد اللغوية المتعارف عليها . والأمران من حقهم تماماً ، فالشعر أساساً لغة ، بل إنه يكاد يكون "لغة داخل اللغة" ، وهذه لها نظامها الخاص ، وقانونها الخاص ، وأيضا حريتها الخاصة في وضع كلمة مكان أخرى ، أو تحويل لفظ عن معناه ، أو استخدام أداة في غير ما وضعت له .

2 - ولكي نجيب على السؤال المطروح ، نقول : إن كل الناس لا يعرفون كل لغات العالم ، بل إن افراداً فقط هم الذين يعرفون بعض اللغات ، لذلك كان من واجب الذين يعرفون لغة أجنبية ، وفي نفس الوقت ، من حق أبناء الوطن عليهم ، أن يترجموا لهم هذا الفن الدقيق من فنون الأدب ، وهو الشعر .. وبالنسبة إلى الأجانب ، فإننا قد نتعامل معهم سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً أو ثقافياً ، ويقتضى ذلك كله أن نجالسهم ونتحدث إليهم في اجتماعات أو مؤتمرات ، لكننا لا نكاد نعرف شيئاً عن حقيقة نفوسهم ، وتطلعات أرواحهم التي تخفى علينا تماماً ، ولما يكاد يظهرها إلّا الشعر .. الشعر الذي كتبه شعراؤهم ليعبروا به عما يحزنهم ويسعدهم ، عما يرضيهم ويغضبهم ، عما يحسون به من الحب والكراهية ، والغضب والميأس ، والإحباط أو الأمل .. وهكذا فإن الشعر هو الذي يطلعنا على "دخيلة" غيرنا ، فنكون عندما نقرأه أو يترجم لنا على معرفة أكثر بهم ، وربما أمكننا ذلك من التواصل الجيد معهم ، بدلاً من أن نقف منهم موقف نفور قد يتحول إلى كراهية !

3 - ومنذ أكثر من قرنين ، أدركت أوروبا أهمية ترجمه الشعر كمدخل لمعرفة الروح العربية ، فنقلت إلى لغاتها الكثير من الشعر العربي ، وفي مقدمته "المعلقات" التي هي أصعب ما في الشعر العربي ، ولما يكاد يستوعبها أو حتى يقرأها العرب المعاصرون أنفسهم ، ثم راحت تدرسها ، وتحلل كل لفظه فيها ، لكي تعرف من خلال ذلك كيف كان "يشعر" العرب القدماء ! أما نحن فما زلنا حتى الآن نتواصل مع أوروبا ، والغرب عموماً ، ثم الشرق مؤخراً ، ولما نريد أن نتنبه إلى ترجمة أشعارهم ، القديمة أو المعاصرة ، لكي نتعرف على

حقيقتهم ، التى تتجلى فى الشعر بدون زيف أو مراوغة .

وهنا أسأل وأتساءل : كم من السادة السفراء والدبلوماسيين المصريين والعرب يقرأ أشعار الشعوب التى يعملون فى بلادها ؟ وهل يدركون هذه الحقيقة المؤكدة التى تقرر أن روح الشعب تكمن فى قصائد شعرائه ؟!

4 - لكن ترجمة الشعر لا تنحصر فقط فى الإمتاع ، أو تحقيق التعارف الحميم بين الشعوب ، وإنما تتجلى كذلك فى إثراء الإنتاج الأدبى المحلى بنماذج مختلفة من إبداعات الشعوب الأخرى . ومن المعروف أن الشعر يظل هو الشعر فى كل اللغات . وقدima كان أجدادنا العرب يعتقدون خطأ أنهم المتفردون وحدهم بفضيلة البيان ، وأن الشعر هو أكبر دليل على ذلك ، حيث كانوا يعتقدون أنه سمة تفردهم ، ومناطق فخرهم ، لكنهم مع الأسف لم يكونوا يعرفون أن الشعوب الأخرى ، مثل الصينيين والهنود والفرس والإغريق .. لديهم أشعار مثلهم ، بل وتتفوق أحيانا عليهم . وكانت الفكرة السائدة منذ العصر الجاهلى - أن هذه الشعوب جميعاً من "الأعاجم" أى الذين لا يبينون القول ، وبالتالي كيف يصوغون الشعر ؟! وقد استمرت هذه الفكرة الخاطئة طويلاً ، حتى أن حركة الترجمة الواسعة فى عهد الخليفة العباسى ، المأمون (ت 218هـ) قد استوعبت الفلسفة والمنطق والكثير من علوم الأوائل .. باستثناء الشعر !!

5 - وقد استمر الحال على ذلك قرونا ، حتى بدأ التواصل الثقافى بين العرب والغرب فى مطلع العصر الحديث ، وأخذ الاهتمام بمعرفة اللغات الأجنبية ينمو فى كل من مصر ولبنان ، وراحت الترجمة تتسع فتشمل معظم الأجناس الأدبية ومنها الشعر .. حينئذ فقط شهد الشعر العربى نهضة كبرى ، تمثلت فى المسرحيات الشعرية التى كتبها أحمد شوقى ، نتيجته اطلاعه على المسرح الشعرى فى الغرب ، كما تجلت فى التجديد الذى أحدثته مدرسة أبوللو ، سواء فى مضمون القصيدة أو فى شكلها ، كما ظهرت بوضوح فى حركة الشعر الحر ، وأخيراً قصيدة النثر التى ما زال شعراؤها يحاولون ويجربون حتى اليوم .

6 - ماذا يحدث عندما نترجم الشعر ؟ من المؤكد أنه يفقد الكثير من دلالات الألفاظ ، وخاصة غير المباشرة ، كما تسقط منه التعبيرات الطازجة التى تحمل فى لغتها الأصلية الكثير من الإيحاءات التى تؤثر فى الشعب الذى كتب بلغته الشعر .. لكن الترجمة - حين تكون دقيقة وأمينه وواعية - فإنها تنقل البناء الفنى للقصيدة ، وكذلك الصور الشعرية التى تعد لبنات أساسية فيها ، كما أنها

تحافظ على المضمون الشعري الذي يتمثل في رسالة الشاعر التي يريد أن يبلغها إلى قومه ، بل إلى الإنسانية جمعاء . وتلك كلها جوانب لا يمكن التقليل من شأنها ، عندما نحاول التعرف على الأعمال الشعرية لأمة من الأمم ، لا نتكلم لغتها ، ولكننا نسعى إلى نلم بومضة من روحها .

7 - أسس الاختيار في ترجمة الشعر : هنا يظل الإعجاب الشخصي هو سيد الموقف . فأنا عندما أقرأ قصيدة بالفرنسية ، وأجدها قد أعجبتني ، أتوقف أمامها طويلاً ، بل وأعاود قراءتها مرات ، محاولاً بعد الاستمتاع بها أن أقف على جوانب الجمال فيها ، ثم أجدني بعد ذلك مدفوعاً إلى مشاركة أكبر عدد من أبناء لغتي في التعرف عليها ، والاستمتاع بها معي .. لذلك أقوم بترجمتها . ويمكن هنا أن أضع الشروط التالية :

أولاً : أن يكون مترجم الشعر شاعراً ، والسبب في ذلك أن الشعراء هم أفضل من يعرفون بعضهم بعضاً ، ويدركون من الوهلة الأولى مدى الموهبة الشعرية التي يتمتع بها كل واحد منهم .

ثانياً : أن يكون ناقدًا ، يمكنه أن يحدد قيمة الشاعر والقصيدة معا في إطار التراث الشعري ، وحتى لا تكون القصيدة مجرد تكرار ، أو نسخة أخرى من عمل سابق .

ثالثاً : أن يكون على مستوى جيد جداً من معرفة اللغة المترجم منها ، وكذلك اللغة المترجم إليها . وكثيراً ما قرأنا أشعاراً مترجمة لا يكاد من نقلها يجيد إحدى اللغتين !

رابعاً : أن يكون دقيقاً جداً ، وأميناً للغاية في نقل معاني القصيدة وإيحاءاتها قدر الإمكان إلى لغته .

8 - أما بالنسبة إلى ترجمة الشعر بالشعر ، فهذا مالم أستطيعه ولما أحببته . بل إننى أراه نوعاً من التكلف الممجوج . لأنه يبتعد عن الترجمة الحقيقية للشعر خطوتين : خطوة حين يترجمه ، وخطوة أخرى حين يحاول صياغته شعراً . والمسألة فى تصورى مثل نقل طائر من قفص إلى قفص آخر !

9 - أفاق ترجمة الشعر : لا تتوقف ترجمة الشعر على التعريف بنماذج مختلفة من إنتاج شعراء الأمام الأخرى ، وهذا مفيد جداً للشعراء ، ولما على مجرد الاستمتاع بالعجيب والمبتكر منها ، وهذا يدفع للمنافسة وتحريك البركة الراكدة ، وإنما هى أيضاً تفتح الباب واسعاً أمام دارسى الأدب المقارن الذين يهتمهم متابعة وجوه التشابه والتقاطع بين الآداب العالمية . ولما شك أن " فرع " الأدب المقارن الذى انتقل إلينا من الغرب فى منتصف القرن العشرين ، وكان رائده المرحوم دة محمد غنيمى هلال ، قد أتاح لدارسى الأدب العربى أنفسهم أن يعقدوا مقارنات مفيدة جداً بين الشعراء العرب ونظرائهم فى الأمام الأخرى من أمثال المعرى ودانتى ، وشوقى وشكسبير .. الخ ، وهو الأمر الذى ألقى مزيداً من الضوء على أعمال محددة لدى هؤلاء العباقرة .

وسوف يجد القارئ لهذه المقصائد التى قمت بترجمتها من الفرنسية نوعاً من المقصد فى ترجمه بعض المقصائد التى تصلح مادة لدراسات المقارنة وخاصة فى قصيدة (الجن لفيكتور هيجو ، وقصيدة (موسيقا من الجن) لمحمود حسن إسماعيل ، وكذلك الترجمة الشعرية التى قام بها الأخطل الصغير (بشارة الخورى) لإحدى قصائد الشاعر الفرنسى موريس ماترلينك .. ثم بكل تواضع ، قصيدتى المنشرة بعنوان (الشاعر والقصيد) مقارنة بقصيدة (لكى ترسم صورة لطائر) للشاعر الفرنسى جاك بريفير . هذه المقصائد المترجمه ..

10 - كما سبق أن ذكرت ، هى مجموعة من المقصائد التى قرأتها بالفرنسية وبعضها لشعراء غير فرنسيين من ساحل العاج أو من بولنده ، وقد أعجبتنى ، بعد أن وجدت فيها نفساً شعرياً خاصاً جذبنى إليها ، فأقدمت على ترجمتها راجياً أن يشاركنى فى الإعجاب بها أبناء لغتى العربيه . وبالطبع تقع هذه المقصائد فى دائرة الاختيار الشخصى ، الذى أتحمّل وحدى مسئوليته .

أما مصادر المقصائد فهي إما من دواوين الشعراء ، أو المجموعات الشعرية التي ضمت مختارات من قصائدهم ، وخاصة في (الكتاب الذهبي للشعر الفرنسي) :

Le Livre d'or de la poésie française

وكذلك المجلد الخاص بالشعر الفرنسي المعاصر :

Le Livre d'or de la poésie Française contemporaine

أو ما نشر في بعض المجلات الأدبية ، والمجرائد الفرنسية ..

والواقع أنني كنت أتمنى أن يقوم بهذه المهمة زملاء لي ، كانوا يدرسون معي في جامعة السوربون بباريس (1974-1981) وهم متخصصون أساساً في الأدب والنقد ، وقد توسمت فيهم النشاط والعطاء ، لكنهم عندما عادوا إلى مصر شغلتهم المكاسب المادية والإهانات الخليجية ، فتحولوا مع مرور الوقت إلى أثرياء بالمال ، فقراء بالروح !

على أية حال ، فإنني أرجو مخلصاً أن تجد هذه المقصائد المترجمة من الفرنسية مكانها المناسب في المكتبة العربية ، التي تحتاج إلى الكثير منها ، وأن يجد دارسو الأدب العربي ، والأدب المقارن مادة تساعد على الانطلاق نحو آفاق أكثر رحابة .. وأخيراً وهو الدأهم أن يجد القارئ العربي ، المحب للشعر عموماً ، في هذه المقصائد بعض ما وجدته .
